# أثر حركية أداة التشبيه في انتاج الدلالة

اعداد

أحمد محمد عبد الوهاب متولي

باحث ماجستير

اشراف

أ.د شوقي على الزهرة

أستاذ البلا غة والنقد

كلية الآداب ، جامعة بني سويف

**المستخلص**

**لأداة التشبيه أنواع وحالات فهي تجمع أنواع الكلمة الثلاثة, الاسم والفعل والحرف, كذلك تدور حالاتها بين الحذف والذكر والتكرار والتركيب والخفة والثقل وغير ذلك, والذي يحاوله المبحث إماطة اللثام عن دور حركية الأداة في إنتاج وتعدد الدلالة، فلايصح أن تكون الدلالة الوحيدة للكاف القوة, أو إظهار مدى شدة الترابط بين المشبه والمشبه به – لاسيما إذا قورنت بكأن– لكنها قد تنتج دلالات أخرى يحكمها السياق، وفي هذا المبحث نحاول تحليل بعض الأمثلة لنرى دور الأداة في إنتاج الدلالات المختلفة.**

**وما يوضحه البحث أن الأداة الواحدة قد تنتج الدلالة في تركيب وضدها في تركيب آخر ,وقد تكمن بلاغة التشبيه في تركيب تذكر فيه الأداة حذفها يفسد التشبيه ,وقد تحذف الأداة من تشبيه ذكرها يفسد المعنى ,والكافُ أداةً للتشبيه في تركيبٍ أبلغُ من كأنّ فيه ," وفي كل الأحوال ,فإن أداة التشبيه ,يتحدد مستواها الدلالي وفق شيئين:أولهما نوع الأداة ,وثانيهما وضع الأداة من حيث علاقتها بالمشبه والمشبه به,وما يترتب على ذلك من علاقات مع ذات المبدع الذي يشكل التشبيه وفق إحساسه بالعناصر التي يتكون منها ,ومدى قربه أو بعده عنها"**

**الكلمات المفتاحية: أدوات التشبيه، حركية الأداة، الدلالة.**

## Abstract

The analogy tool has types and cases, as it combines the three types of the word, the noun, the verb and the letter, as well as its cases between deletion, remembrance, repetition, composition, lightness, heaviness, and so on, which the study tries to unveil about the role of the tool's kinetics in the production and multiplicity of the sign, it is not correct that the only sign of sufficient strength, or Showing the extent of the strong correlation between the suspect and the suspect - especially if compared to that - but it may produce other connotations governed by the context, and in this topic we try to analyze some examples to see the role of the tool in producing different connotations. And what the research shows is that a single tool may produce the significance in one installation and its opposite in another installation, and the eloquence of the simile may lie in a composition in which the tool mentions its omission spoils the simile, and the tool may be deleted from the simile mentioned spoils the meaning, and the kaf is a tool for the simile in a composition more informative than it was in it, and in In all cases, the simile tool, its semantic level is determined according to two things: the first is the type of the tool, and the second is the position of the tool in terms of its relation to the suspect and the suspect, and the consequent relations with the same creator who forms the simile according to his sense of the elements that compose it, and the extent of its proximity or distance. about her"
Keywords: analogy tools, tool kinetics, semantics.

## أثر حركية أداة التشبيه في إنتاج الدلالة وتعددها:

لأداة التشبيه أنواع وحالات فهي تجمع أنواع الكلمة الثلاثة, الاسم والفعل والحرف, كذلك تدور حالاتها بين الحذف والذكر والتكرار والتركيب والخفة والثقل وغير ذلك, والذي يحاوله المبحث إماطة اللثام عن دور حركية الأداة في إنتاج وتعدد الدلالة, فمن المحال أن تكون الأدوات كلها على درجة واحدة في القوة والضعف أوالربط بين المشبه والمشبه به, "فما كان من التشبيه صادقًا قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا, وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد "([1]) كذلك لايصح أن تكون الدلالة الوحيدة للكاف القوة, أو إظهار مدى شدة الترابط بين المشبه والمشبه به – لاسيما إذا قورنت بكأن– لكنها قد تنتج دلالات أخرى يحكمها السياق, فمثلًا في قوله تعالى :"إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا" {المزمل:15} "فالأداة في هذه التشبيهات لم تلحق ناقصًا بكامل, كما لم تزد المعنى جلاء ووضوحًا وهو الغرض الأساسي للتشبيه, وإنما انحصر عملها في إيجاد المساواة بين أمرين, ولذلك يحسن أن تسمى هذه الكاف في مثل هذه الصورة أداة المساواة "([2])

كذلك قد تنتج الكاف نفي وجود التشابه بين طرفي التشبيه وفي هذه الحالة تصلح الكاف دون كأن "فهي تأتي في موضع المقابلة بين أمور لايقصد بها التشبيه الحرفي, وإنما نفى وجود الشبه بين الطرفين, وتأتي الكاف لتفصل بينهما, وتؤكد فكرة بُعد كل طرف من طرفي التشبيه عن الآخر, وبقائه في دائرة المقارنة التي تؤكد رفض مساواة المشبه مع المشبه به, وهنا يمكن تطبيق ذلك على نماذج نختارها من القرآن الكريم, من ذلك قوله تعالى :"أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالفُجَّارِ" {ص:28} وكقوله تعالى:" أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ" {السجدة:18} فالكاف في التشبيهات السابقة أقامت علاقة مقارنة بين طرفين مختلفين بهدف إظهار التباين بينهما, وقد جاءت فاصلًا شكليًا ومعنويًا بين هذين الطرفين, على نحو ما نلاحظ" ([3])
ولنحاول تحليل بعض الأمثلة لنرى دور الأداة في إنتاج الدلالات المختلفة .

أولا: أثر حركية أداة التشبيه في إنتاج وتعدد الدلالة في القرآن الكريم .

---

[1] – عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ,تح عباس عبدالساتر, دار الكتب العلمية بيروت لبنان, ط الثانية, 2005, ص 27.

[2] – إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: حفني محمد شرف, ص 332

[3] – المستوى الدلالي للأداة في التشبيه: خليل عودة , مجلة جامعة النجاح للأبحاث , المجلد السادس, العدد العاشر, 996, ص 73

ففي قوله تعالى في سورة لقمان "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" {لقمان:7} وأداة التشبيه كأن, والبلاغيون – وإن اختلفوا في تركيبها أو بساطتها– متفقون على أنها أبلغ وأقوى في تأدية المعنى من الكاف إذا تفقتا في الدلالة, وهي تنتج –في الآية الكريمة– بادئ ذي بدء –, دلالة عدم التأمل أو الوقوف عند آيات الله حتى كأنه لم يسمعها, دلالة قوة الاستكبار, أكد تلك الدلالات حركية المضارع (تتلى) وحركية التركيب الإضافي في (آياتنا)؛ فقد" قال(تتلى) بالمضارع ولم يقل(تليت) للدلالة على تكرار التلاوة عليه, والمفروض أن تكرار التلاوة يدعو إلى التأمل فيها, أما هو فهو يولي عنها مستكبرًا. وقال (آياتنا) بإضافة الآيات إلى ضمير الله المعظم لتعظيم آياته وتشنيع فعله" ([1])

وقد " كرر التشبيه لتقويته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع ومرة مع انعدام قوة آلته, فشبه ثانيًا بمن في أذنيه وقر وهو أخص من معنى "كأن لم يسمعها" ([2])

ولحركية اختلاف بنية الأداة "كأن"دلالتين متقاربتين, فإذا كانت "كأن" بالتخفيف تنتج دلالة الإعراض وعدم الاستماع مع عدم المانع المادي – كالكبر–مثلا– مانعًا معنويًا – فإن "كأن" بالتشديد تنتج دلالة التأكيد على عدم السماع, والتمادي في الإعراض لمانع مادي وهو الوقر الحمل الثقيل المستعار للصمم, فكان تشديد "وتثقيل (كأن) في الثانية كأنه لمناسبته للثقل في معناه"([3])

وقد ينتج تخفيف الأداة (كأن) تهوين شأنه وتحقيره, وتشديد (كأن)لانقطاع الأمل فيه "ويبدو – والله أعلم– أن التخفيف في الأول لسبق الإخبار عنه بأنه استكبر عند توليه فشبهه من لايسمع غير خاف ولا يحتاج إلى مزيد تأكيد, وناسب – أيضًا– ما يستحقه من تهوين شأنه وعدم الاكتراث به, ثم أكد التشبيه الثاني إعلامًا بأن الإعراض متمكن منه, لينقطع الرجاء فيه, مثله في ذلك مثل الأصم الذي لايسمع أبدا"([4])

ويلاحظ مدى بلاغة القرآن ومراعاة السياق في توظيف بنية الأداة؛ فإن "كأن" بالتخفيف تلائم التولية والسرعة والاضطراب والاستكبار الذي ينتاب المعرض عند أول سماعه آيات الله, أما كأن بالتشديد فهي تلائم حالته التى آل إليها بعد توليته من عدم انتفاعه بآيات الله لعدم استماعه, كذلك يلائم الثقل (الوقر) الذي يحمله المعرض عن الآيات في أذنيه.

---

[1] – على طريق التفسير البياني: فاضل صالح السامرائي, كلية الآداب والعلوم جامعة الشارقة, دط, 2002, ج2, ص 295.

[2] – التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ,21ج,ص 144.

[3] – روح المعاني :محمود الألوسي البغدادي,ج21,ص80.

[4] – أدوات التشبيه ودلالاتها واستعمالاتها فى القرآن الكريم : محمود موسى حمدان, ص 224.

وإذا كان التركيب التشبيهي في الآية الكريمة الماضية قد حمل أداتي تشبيه وهي (كأن)الأولى بالتخفيف والثانية بالتشديد فإن ثمة تركيبًا تشبيهيًا أنتجت فيه حركية حذف الأداة دلالات عدة يقول تعالى: "وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ" {النمل:88} والتركيب أنتج صورة حية, مشحونة بالحركة, عمل على بناء حركية الصورة الفعل المضارع (تمر), ولفظة (السحاب) التي تُظهر بناء ديناميًا من حركيتها في التركيب, فكان مروره مشبهًا به لمرور الجبال, ودالًا على حركة الجبال التي هي ثوابت رواسٍ, " إذًا فالحركة في الطرف الأول تكمن خلف ستار الثبات والسكون الذي يعرف على صورة الجبال في الرؤية العامة لها. وأما الطرف الثاني فهو متحرك بحكم طبيعة السحاب المشاهد بالحس البصري" ([1]) كذلك كان لحذف الأداة دور كبير في إثراء تلك الصورة؛ فإن حذف الأداة ينتج دلالة قوة التشابه بين طرفي التركيب التشبيهي"والتقدير في غير القرآن تمر كمر السحاب, فحذف الأداة فعاد والمشبه كأنه عين المشبه به "([2]) كذلك فإن حذف الأداة ينتج دلالة وضوح رؤية مرور الجبال, وإنّ ذكرها قد يشي بصعوبة مرورها لاسيما "أن الأشياء الكبيرة إذا تحركت في سمت واحد, فلا تكاد تتبين حركتها, وهنا شبهها بالسحب التي تسيرها الرياح"([3]) ولو قيل "كمر السحاب ربما ظُنّ أن مرورها غير واضح أما قوله " "وهي تمر"الذي هو بمعنى السير "مر السحاب" أي مرًا واضحًا لكنه لايبين من أول وهلة"([4])

ويلاحظ أن حذف الأداة يلائم السياق الذي ورد فيه التركيب التشبيهي فإذا كانت كأن بالتشديد تناسب الثقل, فإن حذف الأداة تناسب السرعة, كذلك تناسب كثرة أهوال في ذلك اليوم, وذهول العقل, واضطراب الناس فيه, وقد "قيل: إن حسبان الرائي إياها جامدة مع مرورها لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت ذهن في الفكر في ذلك حتى يتحقق كونها جامدة وليس بذاك وقد أدمج في التشبيه المذكور تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها "([5]) أيضًا عمل حذف الأداة على تلك العلاقة القوية بين المشبه والمشبه به, ليس في الحركة فقط , وإنما في سببها "فكلا الحركتين حركة غير ذاتية, وإنما حركتهما تبع لشيء آخر, فالجبال

[1] – نمطية الصورة التشبيهية: أحمد بلخضر, دار الكتاب الحديث, القاهرة, ط الأولى, 2012,ص 108.

[2] – أصول البيان العربي: محمد حسين الصغير,ص 95.

[3] – التفسير المنير:وهبة الزحيلي, دار الفكر ، ط العاشرة ، 2009, ج 1 ,ص397

[4] – التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور , ج 20, ص50.

[5] – روح المعاني: محمود الألوسي البغدادي, ج20,ص 34.

حركتها تبع لحركة الأرض, والسحاب حركته تبع لحركة الرياح, وهذا مما حسّن التشبيه في الآية, وكان لحذف الأداة فيه منتهى البلاغة" ([1])

ثانيا : أثر حركية أداة التشبيه في إنتاج وتعدد الدلالة في الحديث الشريف .

ومن الأحاديث الشريفة التي تعددت فيها حركيات أداة التشبيه ما بين حذف وذكر وتكرار قوله صلى الله عليه وسلم : "مثلي وما مثل ما بعثني به الله كمثل رجل أتى قومًا , فقال : رأيت الجيش بعيني, فأنا النذير العريان, فالنجاء , فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا, وكذبته طائفة, فصحبهم الجيش فاجتاحهم " والحديث الشريف ينتج صورة حية, متحركة , مرئية , تتشابك صورها الجزئية لتنتج صورة كلية؛ "إذ أن الصورة الواحدة تضم في إطارها شتيتًا من الصور المتناثرة, وقد خضعت إلى نظام من التناسق يؤلف بينها ويجعل منها خطوطًا ملتحمة لصورة واحدة ذات ملامح ,وسمات " ([2])

ولحركية الأداة أثر في إنتاج الدلالات في الصورة عمومًا, فإن حركية ذكر أداتي تشبيه في البيان النبوي السابق هي التي ساهمت في إنشاء تلك الصورة الكلية "وليس لفظ مثل في البيان الكريم أداة التشبيه, إذ هو بمعنى الحال والصفة, وإنما الأداة الكاف, والجمع بينها وبين (مثل) للدلالة على تشبيه الهيئات والأحوال تمثيلًا, إذ لو دخلت الكاف على (رجل) لتوهم بادئ الرأي مشبهًا به إفرادًا " ([3])

وهو ليس مقصودًا من التشبيه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم تشبيهًا مفردًا وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشبه "حاله مع البشرية في البلاغ لدعوة الحق الذي جاء به , فيظهرهما في صورة رائعة عرفها العرب واهتموا بها اهتمامهم بالنفس الغالية وبنبض الحياة ,صورة العين الحريص على القوم يرى أعداءهم قد جمعوا لهم ,وأعدوا لاجتياحهم , وزحفوا إلى ديارهم , فيسرع يلهث من الجهد عريان منذرًا بالويل , ليسهل على الرائي أن يعرف الشر في عريه, كما يعرف الشر في إنذاره الذي أكده تأكيدًا لايدع عذرًا لأبله أحمق"([4])

كذلك حركية حذف الأداة في أنا النذير العريان ,التي عملت –أيضًا– على قوة التشبيه وقوة العلاقة بين طرفيه , كذلك أنتج حذفها مسايرة السياق ؛ ليلائم التركيبُ – دونها– الرهبةَ

---

[1] – من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة: عبدالفتاح لاشين, دار المريخ للنشر الرياض, دط , 1983,ص 88.

[2] – البيان النبوي: محمد رجب البيومي, دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط الأولى ، 1987, ص 242.

[3] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : كمال الدين إسماعيل, دار اقرأ بيروت، ط الأولى 1984,ص 163 .

[4] – المصدر السابق :ص 186 , 187.

والخوف من قدوم الجيش , والسرعة في محاولة النجاة ,الأمر الذي لايعمل ذكر الأداة على تحقيقه.

وإذا كانت الأداة في التركيب السابق في الحديث النبوي الشريف تنوعت حركتها مابين الذكر والحذف فإن التراكيب محذوفة الأداة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة , نأخذ منها نوذجين عملت حركية حذف الأداة في أحدهما على الترغيب ,وفي الآخر على الترهيب .فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "صوم الشتاء الغنيمة الباردة" , فالتركيب تشبيه بليغ , حذفت فيه الأداة والوجه , وحذف الوجه يدل على كثرة الخير فيهما , وحذف الأداة يدل على القوة بين الطرفين وتحقيق الوجه فيهما فكأن صوم الشتاء غنيمة باردة حقًا , فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه الصوم بالغنيمة لتوقع الجهد فيهما ,لكنه لما أضيفت الشتاء إلى الصوم ,ونُعتت الغنيمة بالباردة نفي ذلك الجهد والتعب "وقد قيل أيضًا :إنما وصف الصوم في الشتاء بأنه غنيمة باردة لبرد النهار الذي يقع الصيام فيه ,وأنه بخلاف نهار الصيف الذي يشتد فيه العطش " فكأن صوم الشتاء غنيمة باردة على سبيل الحقيقة ,وهوما عملت حركية حذف الأداة على تحقيقه. والترغيب فيه . كذلك في قوله صلى الله عليه وسلم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إياكم والدخول على النساء , فقال رجل من الأنصار, يا رسول الله , أفرأيت الحمو , قال الحمو الموت".والتركيب التشبيهي في قوله صلى الله عليه وسلم "الحمو الموت " وهو"تشبيه بليغ ,شبه دخول الحمو على المرأة بالموت ,إذا الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الهلاك,فيجب أن نحذر من دخول الحمو على النساء كما نحذر الموت ,وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لأن العادة جرت بالتساهل فيه"([1]) وأنتج حذف الأداة قوة التشابه بين طرفي التشبيه ,حتى لكأن الحمو موت على سبيل الحقيقة لاسيما إذا أنتجت الخلوة موتًا محققًا "وخرج هذا مخرج قول العرب :الأسد موت , والحرب موت .أي لقاؤه يفضي إلى الموت .وكذلك دخول الحمو على المرأة يفضي إلى موت الدين, أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج ,أو يرجمها إن زنت معه" ([2]) .

كذلك أنتجت حركية تعريف المبتدأ والخبر, مع حذف الأداة أسلوب قصر, وهو ما يؤكد الدلالات السابقة, ف" في هذا الحديث الموجز إيجاز رائع نرى اقتران المبتدأ والخبر بلام

[1] – من بلاغة الحديث النبوي:عبد الفتاح لاشين, شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط الأولى 1982,ص 107.

[2] – المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي,تح محيي الدين ديب مستو, يوسف علي بديوي, أحمد محمد السيد,محمود إبراهيم بزال,دار ابن كثير دمشق بيروت, دار الكلم الطيب , دمشق بيروت, ط الأولى, 1996, ج5 ,ص501 , 502.

الجنس– كما هو الظاهر– مما أوحى بقصر الحمو على الموت قصرًا للمبالغة في خطورة الحمو على الزوجة" ([1]).

ثالثا : أثر حركية أداة التشبيه في إنتاج وتعدد الدلالة في الشعر العربي .

ولأداة التشبيه في الشعر حركيات عدة تنتج دلالات مختلفة , يقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع(الطويل)

والتركيب ينتج صورة تشبيهة مبتكرة , يعتذر فيها النابغة للملك,معلنًا أنه مهما ذهب فهو في قبضته ,حجته في ذلك أن الملك ليل ," ولم يقل: كالصبح , لأنه وصفه في حال سخطه, فشبهه بالليل وهو له, فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة"([2]) لما في الليل من دلالات مختلفة "فالشاعر تتسلط عليه رهبة الخوف ويحيط به اليأس حيث أن سطوة النعمان نازلة به لامحالة وإن أوهم نفسه بإمكان الإفلات فشبهه بالليل الذي يمثل الخوف وتراكم الهموم وانقطاع الأنيس والإحاطة من كل مكان" ([3])

فإن كان التشبيه ينتج دلالة قوة الملك وسطوته فهو ينتج أيضًا دلالة ضعف الشاعر وعجزه ,مستدرًا عطفه , مبتغيًا عفوه "وتصاغر المعتذرللممدوح هو نوع من السيكولوجية التي تستثير فيه عاطفتى الرحمة والعظة ,مما يحقق للشاعر مبتغاه ويبعد عنه الويل .وهكذا يمكننا اعتبار كلامه نوعًا من الاعتذار غير المباشر الذي مهد به لما دونه أوما إليه "([4])

ولحركية ذكرالأداة أهمية بالغة في إنتاج الدلالة المرادة من التشبيه ؛فإن الأداة هي التي تفيد تقييد العلاقة بين المشبه والمشبه به ؛حتى لايتطابقا " ومع وجود الأداة في التشبيه فإننا لانقصد إعطاء المشبه كل صفات المشبه به , على نحو ما نقول (أنت كالليل )فإذا حذفت الأداة فقلنا (أنت ليل)أو (الليل ),فهذا يعني إطباق الليل على المشبه ,ومساواة الطرفين في أمور كثيرة قد لايريدها القائل تحديدًا ,ومن هنا يكون للأداة وظيفة في إبراز المعنى ,فهي تأتي عندما لايريد القائل إحداث مساواة بين الطرفين ,لأن مثل هذه المساواة تبتعد بالتشبيه عن الغرض ,وقد يصبح التشبيه سلبيًا ,لأن جعل الممدوح ليلًا يعني وصفه بصفات إيجابية وسلبية موجودة في الليل "([5]) فحركية حذف الأداة في هذا التركيب قد تنتج دلالة الظلمة

---

[1] – أساليب القصر في أحاديث الصحيين: عامر بن عبدالله الثبيتي,ج1, ص 602.

[2] – عيار الشعر: ابن طباطبا, ص 53.

[3] – التصوير المجازي والكنائي: صلاح الدين محمد أحمد ,ط الأولى ,1988,ص185, 186 .

[4] – في النقد والأدب: إيليا الحاوي, دار الكتاب اللبناني بيروت, ط الثانية, 1986,ج الثاني, ص155.

[5] – بحث بعنوان المستوى الدلالي للأداة في التشبيه: خليل عودة, مجلة جامعة النجاح للأبحاث , المجلد الثالث , العدد العاشر , 1996,ص 68.

والسواد – الصفة الأصلية في الليل– وهو غير مراد , بل إنه قد ينقل التشبيه من غرض شعري إلى غرض شعري آخر, لذلك نجد "أن (الكاف)في (كالليل)مُوجِهة الحركة الدلالية في البيت كله , بل إنها تنقله من إطار دلالي إلى إطار دلالي آخر , تنقله من الهجاء إلى المديح الممزوج بالاستعطاف "([1]) والذي عول عليه التركيب في إنتاج تلك دلالات السطوة والقوة , وترك دلالة السواد والظلمة ذكر أداة التشبيه ,وهو ما يجعل التشبيه أبلغ من الاستعارة لهذه الدلالة ,ويميزها عنها ؛فإننا "يمكن أيضًا أن نستخلص أن الاستعارة إذا كانت تعتمد بالأساس على الصفة المهيمنة فإن التشبيه يمكن أن يعتمد الصفات غير المهيمنة في صياغته .ولهذا فإن الشاعر يمكن أن يعتمدالتشبيه إذا حاول إبراز صفة غير مهيمنة كما فعل النابغة "فإنك كالليل الذي هو مدركي " إن الصفة المهيمنة في الليل هي السواد والنابغة لم يعتمدها في التشبيه, وهذا جائز "[2] والذي جعل التشبيه بكرًا مستملحًا هو التدقيق في معرفة العلاقة بين الملك والليل , والإضراب عن أقوى ما في الليل وهو الظلمة وهو ما يظهر دور حركية الأداة في إنتاج تلك الدلالة "إن القياس التشبيهي واستنباط المعنى يبدو دقيقًا واضحًا , ولكن لنتذكر أن ذلك جاء نتيجة جهد تأملي وإبداع للعلاقات بين الظواهر والمعاني . إن شعرية التشكيل التشبيهي عند النابغة تصدر عن غرابة التأويل الذي يخيله فيما هو معتاد للتعبير عن المعنى ولابد من أن ذلك يتطلب منطقًا ورؤية فذة تستطيع تحويل كل شيء إلى شيء جديد وإكسابه وجودًا بكرًا مثيرا للانتباه والتأمل "([3])

والتركيب التشبيهي ينتج صورة حجاجية تتمثل في عجز الشاعر في مواجهة ليل لاطاقة له بمعاداته , بل الإفلات منه , والهروب بعيدًا عنه, والتركيب التشبيهي جواب شرط لتركيب سابق "فالمقدمة يمكن اختزالها إذن في عجز الشاعر أمام غضب لايمكن رده أما النتيجة والتي جاءت جوابًا للشرط فهي تأكيد النابغة أن النعمان سيطوله أينما حل فكأنه ليل يدركه بظلمته وإن ظن أن له مهربًا وهي نتيجة تكمن كما ترى في المقدمة ذاتها وأن أوهم التركيب أنها منفصلة عنها قائمة بذاتها .ومع ذلك لايسعنا إنكار قيمتها الحجاجية إذ رغم انتمائها إلى قائمة المغالطات تبدو قادرة على إرباك المتلقي لأنها تعترف للنعمان بالقوة والقدرة وتقرّ في

[1] – البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبدالمطلب , ص 41.

[2] – الصورة الشعرية: الولي محمد , ص 81.

[3] – جماليات الشعر: هلال الجهاد, مركز دراسات الوحدة العربية ، ط الأولى, 2007, ص 253.

المقابل بضعف النابغة وعجزه فتثير بذلك إشفاق الملك وتدعوه إلى مراجعة ما قرره في شأن خصمه ."([1])

وإن كانت حركية ذكرالأداة في التركيب التشبيهي السابق عملت على إخراج الصفة المهيمنة في المشبه به –أي السواد لليل– فإن حركيةً لحذف الأداة تعمل على قوة التشابه بين المشبه والمشبه به ,يقول المتنبي واصفًا كلبًا:

يقعي جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم تجدل (الرجز)

"فقد نال التشبيه حظًا من الحسن ,لأن فيه تفصيلًا من حيث كان لكل من الكلب في إقعائه موقع خاص , وكان مجموع تلك المواقع في حكم أشكال مختلفة تؤلف ,فتجيء منها صورة خاصة مؤلفة من جميعها .وكذلك صورة جلوس البدوي عند الاصطلاء بالنار "([2])

وعلى ذلك فإن حركية حذف الأداة عملت على تقوية ذلك التشبيه وتقريب العلاقة بين طرفيها "في هذا السياق لاتبقى الأداة وسيلة للجمع أو التقريب الذهني بين هيئة الحركة والشكل كما قال عبدالقاهر ,لأن تفاعل الدلالات الإيحائية للطرفين – من خلال السياق – قد يضفي على المعنى تعقيدًا وتشابكًا يحتاج إلى بعض التأني والتمهل في تأمل الإيحاءات واستكشاف غياهبها , فتمثل الأداة – بحسب نوعها – تلك الحركة الذهنية البطيئة التي تهيء لاستئناف الحركة الناجمة عن النسيج التالي للعلاقات الإيقاعية " ([3])

رابعا: أثر حركية أداة التشبيه في إنتاج الدلالة في بعض كلام العرب .

وإذا كان تركيب الأداة مع الليل في فإنك كالليل الذي هومدركي عملت فيه الأداة على إنتاج القوة والسطوة والفزع فإن تركيب الكاف مع الليل في تركيب آخر قد تعمل الأداة فيه على إنتاج دلالة الأمن والاطمئنان وهو ما يؤكد دور السياق في اختيار الأداة وأثر الأداة في إنتاج الدلالة ففي حديث أم زرع جاء على لسان الرابعة "زوجي كليل تهامة لاحر ولاقرولامخافة ولاسآمة" "وليل تهامة طلق لايؤذي بحر ولا برد ,فشبهته به في خلّوه من الأذى والمكروه"([4]) ومع ذلك فإن لوجود الأداة دورًا في منع نقل المعنى إلى دلالة أخرى لاتريدها المرأة – قد يفهماها المتلقي بادئ ذي بدء– إذا سمع التركيب زوجي ليل تهامة , كالقسوة أو الوحشة , لاسيما

[1] – الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: سامية الدريدي,عالم الكتب الحديث للنشر,ط الثانية,2011, ص137.

[2] – فن التشبيه: علي الجندي, مكتبة نهضة مصر, ط الأولى, 1952, ج2 , ص 80.

[3] – الأسس الجمالية للبلاغة للإيقاع البلاغى: ابتسام أحمد حمدان, دار العلم العربى، ط الأولى 1997, ص 249, 250.

[4] – درة الضرع لحديث أم زرع: محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الرافعي القزويني ,دار ابن حزم ,ط الأولى, 1991,ص 36.

وقدعلمنا أن الصفة المهمينة في الليل الظلمة والوحشة –كما ذُكر– وقد يقوي دلالة الوحشة والقسوة أن الثلاثة الأُول من النساء قبلها قد ذممن أزواجهن, كذلك قد يتوهم المتلقي دلالة غير مرادة إذا علمنا أن تهامة نفسها بلدة حارة "والمرأة بليغة في تشبيهها ,دقيقة فيه ,ولذا فقد أدى التشبيه غرضها ,وحقق مرادها ؛وذلك حين شبهت زوجها بليل تهامة على الإطلاق , فتهامة بلاد حارة , وهذا أمر يذم ولايحمد ,ولذا فقد نأت بزوجها عن ذلك ,فذكرت أنه كليل تهامة,وليل تهامة كأجمل ما يكون من الاعتدال واللطافة؛حيث الرياح هادئة, والهواء معتدل ؛وذلك أن برودته تقضي على نهاره وسمومه ,وتلطفه بنسمات الهواء الباردة العليلة "([1]).فكأن الأداة وقفت حائلًا تمنع من التسرع في الفهم الخاطئ, وقد عملت حركية ذكر وجه الشبه بعدها"لاحر ولاقر ولا مخافة ولاسآمة " على تحقيق الدلالة المرادة , فإن المرأة وصفت زوجها "بحسن صحبتها , وجميل عشرتها , واعتدال حاله , وسلامة باطنه ,وثقتها به ,وضربت المثل بليل تهامة لأن تهامة من بلاد الحجاز – مكة وما والاها– بلاد حارة راكدة الريح .وبهذا سميت تهامة"([2]) , والقول ورد بزيادة هي "ولا يخاف خلفه ولا أمامه"

وعليه فإن الكاف شاركت التركيب لينتج دلالة الأمن والطمأنينة "تريد أن بلد تهامة لايخاف أهله من أمامهم ولا من خلفهم , لتحصن أهله بالجبال .ويحتمل عندي أن ترد "خلفه " و"أمامه" على زوجها ,أي أنه مأمون , لاتخشى مضرته من جهة من جهاته , أو كما قالت :"ولامخافة",أو تخبرأنه حام لذماره,مانع لحوزة داره وجاره"([3]) وإن كانت الأداة في قول الرابعة "زوجي كليل تهامة" عملت على عدم إطلاق التشبيه في إنتاج الدلالة ,وإرادة صفات معينة في المشبه به قد تكون غير مهيمنة فإن حذف الأداة في قول الثامنة " زوحي المس مس أرنب والريح ريح زرنب " تعمل على إطلاق الدلالات المادية والمعنوية المتحققة بين المشبه والمشبه به ,يقوي تلك الدلالات حركية حذف وجه الشبه – أيضًا– وعليه فإنه "تتجلى بلاغة هذا التشبيه وحسنه في هذا المقام أنه من التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة ,ووجه الشبه , وكأنها تعمدت أن تذكر التشبيه بهذه الصورة , فثمة سر بلاغي من حذف أداة التشبيه ,ووجه الشبه كذلك؛وذلك أن وجودأداة الشبه تشير إلى وجود طرفين ,ومن ثم نشبه أحدهما

[1] – حديث أم زرع دراسة بلاغية تحليلية : عبدالعزيز بن صالح العماري , مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها, العدد الأول ,2009,ص145

[2] – بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من فوائد: القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي ,تح صلاح الدين الإدلبي, محمد الحسن أجانف, محمد عبدالسلام الشرقاوي,دط, 1975, ص 68.

[3] – المصدر السابق:ص 69.

بالآخر,فثمة فرق بين قولي :زيد كالأسد ,وقولي: زيد أسد,فأنا– في المثال الثاني– لاأشبه زيدًا بالأسد,بل هو الأسد نفسه,ولذلك حذفت الأداة ,إشارة إلى هذا المعنى" ([1])

أي قوة الترابط بين طرفي التشبيه , وتلك من دلالات حركية حذف الأداة, وتعدد وجه الشبه وتلك من دلالات حذف وجه الشبه فهي "تصف زوجها بلين الجانب للأهل , وحسن الخلق والعشرة معهن ,كمس الأرنب لليانة مجسها ,ولدونة وبرها ,أما تشبيهها إياه بريح الزرنب ففيه تأويلات :أحدهاأنها أرادت بذلك طيب ثنائه في الناس وانتشاره ,والثاني أنها أرادت طيب جسده وعطر أردانه,والثالث أنهاأرادت لين عريكته ,وحسن خلقه "([2]).

وما يلاحظه البحث أن الأداة الواحدة قد تنتج الدلالة في تركيب وضدها في تركيب آخر ,وقد تكمن بلاغة التشبيه في تركيب تذكر فيه الأداة حذفها يفسد التشبيه ,وقد تحذف الأداة من تشبيه ذكرها يفسد المعنى ,والكافُ أداةً للتشبيه في تركيبٍ أبلغُ من كأنّ فيه ," وفي كل الأحوال ,فإن أداة التشبيه ,يتحدد مستواها الدلالي وفق شيئين:أولهما نوع الأداة ,وثانيهما وضع الأداة من حيث علاقتها بالمشبه والمشبه به,وما يترتب على ذلك من علاقات مع ذات المبدع الذي يشكل التشبيه وفق إحساسه بالعناصر التي يتكون منها ,ومدى قربه أو بعده عنها" ([3])

[1] – حديث أم زرع دراسة بلاغية تحليلية: عبدالعزيز بن صالح العماري , مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها, العدد الأول ,2009, ص 158, 159.

[2] – بغية الرائد: القاضي عياض السبتي ,1975 ص 94.

[3] – بحث بعنوان المستوي الدلالي للأداة في التشبيه: خليل عودة, مجلة جامعة النجاح للأبحاث , المجلد الثالث , العدد العاشر , 1996,ص 64.